فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "شرح الأربعين النووية"

الحديث الثاني

لفضيلة الشيخ: هاني حلمي

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-68128.htm

الحديث الثاني: مراتب الدين

عن عمرَ بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: "بينما نحن جلوسٌ عند رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم– ذاتَ يومٍ، إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرَى عليه أثرُ السفر، ولا يعرِفُه منا أحد حتى جلسَ إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأسندَ رُكبتيه إلى ركبتيه، ووضعَ كَفّيْه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "الإسلامُ أن تشهدَ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وتُقِيمَ الصلاةَ وتُؤتي الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتَحُجَّ البيتَ إنْ استطعتَ إليه سبيلًا". قال: صَدَقْت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبِهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدرِ خيرِهِ وشرِّه"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: "أنْ تعبدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل"، قال : فأخبرني عن أماراتِها، قال: "أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها وأنْ ترى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشاء يتطاولون في البُنيان". ثم انطلق، فلبِثتُ مَليّا، ثم قال: "يا عمر، أتدري مَن السائل؟ قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريلُ أتاكم يعلِّمُكم دينَكم".

هذا حديث أيضًا من رواية عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– والحديث رواه الإمام مسلم في أول كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب الإيمان، وأبو داود في كتاب السنة، والنسائي في كتاب الإيمان يعني في مصنفاتهم.

هذا الحديث يقول عنه ابن دقيق العيد: "هذا حديث عظيم اشتمل على جميع وظائف الأعمال الظاهرة والباطنة، وعلوم الشريعة كلها راجعةٌ إلى هذا الحديث".

الحديث الذي يقول لك – هذا الكلام يقوله المختصون في علوم الإدارة، يقولون: أول شيء الهدف، وبعد الهدف التصور، يجب أن تعرف الطريق، كيف ستذهب وماذا ستفعل؟ فالأمر مشابه فبدون أن يدرسوا الإدارة الإمام النووي وضعهم هكذا تماما: هدف وبعده رؤية.

ما هو الهدف؟ النية، ما هي نيتك؟ الجنة، ما هي نيتك؟ الله ورسوله، وما هي الرؤية؟ إسلام، إيمان، إحسان، يعني وأنا في بداية التزامي ماذا أفعل؟ ركِّز في الإسلام، الذي هو أعمال الظاهر: صلّ جيدًا، صم، عليك بأن تُخرِج زكاة مالك أو الزكاة بشكلٍ عام، إن استطعت أن تَحُجَّ فحُج.

بدأنا هكذا من الخارج صلاة وصيام وزكاة وقبلهم شهادتين وحج، بعدها أدخُل في الإيمان، فماذا أعمل؟ أعمال قلب: يقين، توكل، حب لله.. إذن ما هو الإيمان؟ يدخل في المرحلة الثانية، وبعدها نصل إلى أعلى درجات الإيمان "اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" حسنه الألباني هذه هي الرؤية.

كيف نذهب لربنا؟ إسلام، إيمان، إحسان، إذن هذا علم الإدارة في ضوء الأربعين النووية.

يعتبر هذا الحديث أم السنة

يقول هذا الحديث هو أم السنة كما أن الفاتحة أم القرآن، أم السنة: هذا هو الأصل الذي نستنبط منه كل حكم؛ لأنه يتكلم عن كل شيء في الدين..كل شيء، ولدي استعداد أن استدِلَّ لك في أي مسألة، أعطني في ماذا تريد أن تتكلم؟

أين الحدود هنا؟ أين الحدود؟! لم تُذكر؟! أنت لم تنتبه..

أنا أقول هذا الكلام لمن يقول: الإسلام خمس أمور، وسيأتي الحديث التالي مباشرة "بُنِيَ الإسلامُ على خمس" صحيح البخاري من يحقق هذه الخمس فهو مسلم.

ذكر حدود؟! لم يذكر حدود.. ذكر شرب الخمر والربا وغيره؟! لم يذكر ربا ولا غيره .. هذا صحيح ؟؟

نقول له: قال: " بُنِيَ الإسلام" يعني هذا الأعمدة التي توجد تحت فماذا يوجد فوقها؟ فأنت إلى الآن لم تضع شيئًا فوق.. نحن ما زلنا في الأسفل، وضعنا الأعمدة فقط ولم نصعد ولو بطابق، إذا كنت تظن أنهم خمسة أمور فقط فهذا كلامك؟

فإذا قال لي أين الحدود؟ أقول: الحدود موجودة فهي من الإسلام، وكل أمر سيدخل هنا: الأخلاق الحسنة، وكذا فهذه من مسميات الإيمان، وهكذا.. إذن فهذا الحديث هو أم السنة.

معاني مفردات الحديث:

فلنشرح الكلمات الصعبة الواردة في هذا الحديث: "بينما نحن جلوس عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذ طلع علينا"، "إذ" نسميها حرف المفاجأة أي خرج علينا فجأة. "إذ طلع علينا رجل" وكلمة رجل هنا نكرة معناها أنه مُبهَم، أول مرة يراه فلم يقل: إذ طلع علينا رجلٌ منا أو الرجل فلان أو سمّاه، قال: "رجل"، ثم وصفه: "شديد بياض الثياب" لماذا؟ كناية عن ماذا؟.. "شديد سواد الشعر ولا يُرَى عليه أثر السفر" غريب ولا يُرى عليه أثر الغربة، هذا معناه أنه أتى واغتسل ولبس جيدًا وجلس!، فمَن أدخله؟!، ومَن أجلسه؟! ومتى جاء؟! ، ومَن يعرفه؟!.. هذا ما جالَ بخاطر عمر –رضي الله عنه– "ولا يعرِفُه منا أحد" سيدنا عمر لَمّاح، سيدنا عمر كان مُلهَمًا فبالتالي ماذا فعل في هذه اللحظة؟.. نظر في وجوه الصحابة سريعًا وَجَدَ في وجوهِهم ما عنده.. وهو جالس ليس بنائم، هل يعرف أحد هذا الرجل؟! نظر بعينيه، فوجد كل الناس مثله؟!، ولا يعرفه أحد منا أو أنه استطلع ذلك، كيف استطلع ذلك في هذا الوقت؟ غير أنه يكون سَمِعَ ذلك بعينه.

"حتى جلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه" قالوا هذا من آداب طالب العلم لأنَّ هذه هيئة المتأدِّب وضع يديه على فخذيه وجلس يسأل. "حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه" وضع يديه على فخذيه.. على فخذي مَن؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– أم على نفسه؟ على نفسه أم على النبي؟ على قاعدة اللغة؟ أنَّ الضمير يعود إلى أقرب مذكور.. ركبتيه هو، فخذيه هو، وضع يديه هكذا،

جلس هكذا.. هذه هيئة متأدب، أحدهم جالس ويقول: لو سمحت كنت أريد أن أسأل عن كذا وأسأل عن كذا وأسأل عن كذا.. هذا أدب... ليس كمن يدخل مباشرة ويقول أريد أن أسأل سؤالاً؟ هذا ليس تأدبًا أبدًا!، وبعض الناس في الهاتف يقولون لماذا لا ترد علينا؟..عبارات في هذا السياق!.

المهم هيئة المتأدب.. قال: "فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه".

"فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام": أي أخبرني عن حقيقة الإسلام وعن أعماله شرعًا، ونفس الأمر بالنسبة لـ "أخبرني عن الإيمان" يعني أخبرني عن حقيقة الإيمان، عن أعمال الإيمان، ونفس الأمر في الإحسان. ولاحقًا سوف نقدم لكم شرح النبي –صلى الله عليه وسلم– للإسلام والإيمان والإحسان.

لكن لما قال عمر: "فعجبنا له يسأله ويصدقه".. أول مرة وكأنَّ هذا مما علمهم إياه النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يصح أن تسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "فإنما شفاء العِيِّ السؤال" صححه الألباني ، اسأل عندما تكون لا تعرف، فأنا أسأل للمعرفة لا أسأل لأتباهى بنفسي أ لأُظهِر ما عندي من علم أو أجادل أو أماري.. لا، فلما قال "أخبرني" فأجاب، فقال: "صدقت"!.. لماذا تسأل إذا كنت تعلم؟!.

إذن لا تسأل وأنت تعلم.. لا تسأل وأنت تعلم، ومن آداب السؤال لا تسأل وتذكر شيخًا أو مفتيًا أو مذهبًا في المسألة لشيخك.. تقول: الشيخ فلان يقول كذا، هناك ناس قالت كذا، أنا شاهدت في التلفاز...وهكذا، أنت هكذا وكأنك تفرض على الشيخ ما تريده على هواك ؟!، وهل أعجبتك الفتوى أو لم تعجبك؟!، أم تريد أن تبين له أنك غير واثق في فتواه؟!.. إذن لماذا تسأله، من آداب السؤال..

سيدنا عمر يقول: "فعجبنا له يسأله ويصدقه"، فأتاهم هذا الحديث بأصل جديد ألا وهو أنه ممكن أن يكون هذا الشخص يريد أن يُلفِت النظر إلى فائدةٍ معينة لِيَعُمَّ نفعُها للناس فيسأل السؤال بصفة التأدب ويسأل كذا، فيُجيب الشيخ فيكون من جَرَّاءِ ذلك فائدة الناس.. هذا الأصل الجديد الذي لم يكن عندهم وإلا لَما تعجَّب عمر –رضي الله عنه–.

من الكلمات الواردة في الحديث بعد ذلك، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في آخر الحديث عن أمارات الساعة.. "أماراتها": يعني علاماتها.. علامات الساعة. قال: "أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها": ربَّتَها أي سيدتها، والمعنى أنَّ من علامات الساعة كثرة اتخاذ الإماء.. أن من علامات الساعة سيعود الرِّق، وأنه ستكون هناك إماء يتزوجن ويُطأْنَ بمِلْكِ اليمين فيأتين بأولاد، هؤلاء الأولاد يكونون أحرارًا كآبائهم فإنَّ ولدَها من سيدِها بمنزلةِ سيدِها يسمونها أم ولد.. كيف ذلك؟ "أن تلد الأَمة ربتها" هي أَمة وتزوجها فلما تزوجها –وطأها بملك يمين أو تزوجها أنجبت ولدًا، هذا الولد سيكون حُرًّا أو عَبْدًا؟ –حُرًّا مثل أبيه أم عبدًا مثل أمه؟– سيكون مثل أبيه، والبنت كذلك ستكون أمة أم حُرة؟.. حُرة، فتلد الأَمة ربَّتها؛ لأنها ماذا ستلد؟ سيدة لأنها تصير حُرة بذلك.. فهذا معناه أنه في آخر الزمان سيحدث مثل هذا.

وأن تجد "الحُفاة العُراة".. الحُفاة: الذين لا نَعْلَ في أرجلهم. العُراة: مَنْ لا ثيابَ على جسدهم.

"العالَة": أي الفقراء. "رِعاءَ الشاء" : رُعاة الغنم. "يتطاولون في البنيان": يبنون الأبنية العالية تفاخُرًا ورِياءً.

"فلبثتُ مَلِيّاً": أي انتظرت وقتًا طويلاً.

فوائد الحديث

١- تحسين الثياب والهيئة.

تحسين الثياب والهيئة؛ لأنه ماذا قال؟ لما دخل مجلس العلم كان "شديد سواد الشعر"، ضع كريما.. النبي يقول: "ثم مَسَّ من دُهن" حسنه الألباني.. دُهن يعني كريم.. تضع شيئًا ليبدو شكلك جميلاً، وتتعطر وخاصة في الجمعة وفي مجالس العلم.. بحيث لا تنبعث منك رائحة العرق أو تأكل ثومًا أو بصلاً فتؤذينا بمثل هذه الروائح. لا، يجب أن يكون ثوبك جميلاً، شكلك مهندمًا كما صنع هنا جبريل -عليه السلام- ليُعلِّمَنا أدب من آداب حضور مَجالس العلم والتأدب في مجلس العلم. "شديدُ سوادِ الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد".

٢- التأدب حال السؤال وحضور المجالس.

يجلس كأنَّ على رأسِه الطير كما وصفه الصحابة في مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٣- تعريف الإسلام.

ما الإسلام؟ لُغةً: أسلمتُ لربِّ العالمين أي استسلمتُ لأمرِ ربِّ العالمين.. الاستسلام والانقياد.. لهذا نقول يا أن هناك أناس ليس لديهم ألف باء إسلام.. ألف باء إسلام.

" إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ " البقرة: ١٣١ أَسْلَمْتُ.. افعل.. آمنت.. يمكن أن أكون بعد ذلك مقصرًا ومذنبًا وعاصيًا لكن من الأساس مستسلمًا لأمرِ الله.

فلا أقول هذا الكلام لا يدخل رأسي، لا يجب في القرن الواحد والعشرين أن نقول مثل هذا الكلام، هذه الأمور كلها عفا عليها الزمان، هذا الكلام يُقال أيام النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هذا ينافي ألف باء إسلام .. الانقياد والاستسلام لأمر الله.

يقوم الإسلام على خمسة أسس: الشهادتين، إقام الصلاة في أوقاتِها كاملةَ الشروط والأركان مُستوفاة السنن والآداب، إيتاء الزكاة والزكاة بكل أصنافها -ليس زكاة المال فقط، زكاة الفطر، زكاة الزروع، زكاة عروض التجارة، زكاة الحُلي للنساء، زكاة الركاز وهكذا- صوم شهر رمضان وحَج البيت مرةً في العُمر على مَنْ قَدَرَ عليه وتوفَّرَ له مُؤنة السفر.. هذه الأمور الخمس.

أحكام أسس الإسلام:

إذن أحكامهم.. يعني ما هي أحكامهم؟

- الشهادتين

لا يدخل اتفاقًا إجماعًا أحدٌ في الإسلام إلا بهما.. يعني مثلاً لو قال لي أحدهم الإسلام رائع وجميل ودين الإنسانية والعدالة الاجتماعية والمساواة والإسلام والإسلام... وأعظم إنسان هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- ويؤلف

شِعْرا في هذا الأمر لكن لا ينطق بالشهادتين لا يُعَدُّ بذلك مسلمًا، مثل كثير من المستشرقين المنصفين الذين ينصفون نبي الإسلام والإسلام، لكن تقول له اشهد.. لا، المسألة عنده عقلانية بحتة فقط، لكنه لا يشهد... لا يدخل الإسلام إلا بالشهادتين.

- إقام الصلاة

ما حكمها؟ اختلف أهل العلم في حكم تاركها، ومع اتفاقهم على وجوبها لكن مَن تركها؟

رَأَى الحنابلة ومَنْ تابعهم أنَّ تارِكها كافر، ويرى الجمهور أنَّ مَنْ تركها تكاسُلاً -كل هذا في التكاسل-، أما إنْ تركها عِنادًا وجُحودًا فيكفر باتفاق. إنما مَنْ تركها تكاسُلاً: يرى الأحناف والشافعية والمالكية أنه لا يكفر وإنما يفسُق، واختلفوا بما يصيرُ الإنسان تاركًا للصلاة؟ هل بترك صلاةٍ واحدة أو صلاتين أو ثلاث أو عدةِ أيام؟ اختلفوا في ذلك أيضًا.. هذا ما يخص الصلاة.

- الصيام.

الصيام واجب باتفاق كذلك.. شهر رمضان لمن استطاع بحيث لا يكون له رُخصة مِن سفرٍ أو مرضٍ أو نحوِهما.

- الزكاة

على القادر، فزكاة المال مثلاً ينبغي فيها أن يَبلُغَ المال النِّصاب ٨٥ جرام عيار ٢٤، وبالتالي لو أنك تملك ذهبًا أو زوجتك تملك ذهبًا عيار ٢١ ماذا تفعل؟ عيار ٢١ ليس ٨٥ جرام؛ لأن فيه نسبة ثُمْن يكون فيه نسبة شوائب فيَخرج هذا، مثلاً يبلغ تقريبًا حاجة وتسعين من عيار ٢١. عيار ١٨ أي أن ١٨ معناه أن الثلثين فقط الذهب، ونحن نريد ٨٥ جرام تكون ذهبًا صافيًا وهكذا.. المهم يجب عليك إذا بلغ النصاب وحال الحَوْل -مَرَّ عليه سنة- أن تُخرِج زكاة المال.. وهكذا من أحكام الزكاة المعروفة في كتب الفقه.

- الحج

يُشتَرَطُ فيه القدرة والزاد والرَّاحلة "مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" آل عمران: ٩٧ زادًا وراحلة، عنده القدرة على السفر ليس مريضًا وليس كذا وكذا، عنده القدرة المادية على السفر.. البدنية والمالية؛ لأنها عبادةٌ مالية وعبادة بدنية فاجتمع فيها الصلاة والزكاة.. الصلاة عبادة بدنية.. الزكاة عبادة مالية.. الأمرين اجتمعا في الحج اجتمع فيه هذا وذاك.

وفي الحديث "إنَّ الله يقول: إنَّ عبدًا أصححتُ له جسمه، ووسعتُ عليه في المعيشة تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لَمحروم" صححه الألباني إذن مَن عنده القدرة أن يَحج كل خَمس سنوات كحد أدنى إنْ كان عنده القدرة فإنْ كان حجَّ النافلة ووضعه في عملٍ أعظمَ أجرًا كان أفضل.

هذا بالنسبة للإسلام.. الإسلام هنا يمثل أعمال الظاهر. خذوها قاعدة من قواعد أهل العلم: هناك كلمات إذا اجتمعتا اختلفتا وإذا اختلفتا اجتمعتا. إذا اجتمعتا.. ما معنى اجتمعتا؟ مثلاً أقول: محمد مسلم مؤمن.. كلمتان جمعتهما معًا. إذا افترقتا.. مرة قلت محمد مسلم، وفي موضع آخر قلت محمد مؤمن.. أكون قد أتيت بالإسلام وحده والإيمان وحده، لو وضعتهما في نفس السياق معًا، لو ذكرتهما مجتمعتين معًا، مثل الحديث هنا الإسلام

معناه أعمال الظاهر والإيمان معناه أعمال الباطن. لكن لو ذكرت واحدة منهما مثلاً: قلت محمد مسلم في هذه الحالة أدخل الاثنين الإسلام والإيمان معًا وهما أعمال الظاهر وأعمال الباطن. ولو قلت محمد مؤمن أيضًا الاثنين معًا أعمال الظاهر وأعمال الباطن.

إذن نأخدها قاعدة.. –هذه أمور تخص الامتحانات–، إذا وجدت هذه الجملة: كلمتان إذا اجتمعتا اختلفتا وإذا اختلفتا اجتمعتا: عندما يكونا في سياق واحد معناهما يختلف، وعندما يذكر كل واحد منهما على حِدةٍ يكون معناهما واحدًا..وهكذا عرفنا الإسلام.

٤– تعريف الإيمان.

معناه في اللغة: التصديق ومعناه في الشرع: التصديق الجازم بوجود الله تبارك وتعالى، الرب الإله له الأسماء الحسنى والصفات العلى.. الإيمان بالله، والإيمان ينقسم إلى ستة أمور وردت في الحديث " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" لدينا هنا بعض المسائل.

أول مسألة الإيمان بالله. الإيمان بالله يقتضي أن تؤمن به من حيث أنواع التوحيد الثلاثة:

١– تؤمن به ربًّا، ومقتضى أنه رب أن تُثبت له خمس صفات: سندخل قليلاً في التوحيد والعقيدة وذلك حتى نرتاح في دورات العقيدة والتوحيد، فهذه هي الأربعين النووية القليل من الفقه مع القليل من العقيدة والقليل من الآداب، وهكذا سنأخذ فيها أمور عديدة، خمس صفات لكي يتسمى الرب ربًّا هذا في اللغة: الخَلق والمُلك والتدبير والإحياء والإماتة.

سأذكر لكم آية، أذكر لكم رقمها لكي تحفظوها، هذه آية الربوبية في كلام رب البرية، الآية في سورة يونس الآية ٣١. " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" –ما هي الصفة المذكورة هنا؟ الرزق– أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ –ما هي الصفة المذكورة هنا؟ المُلك– "وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ –ما هي الصفة المذكورة هنا؟ صفتان: إحياء وإماتة– "وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ" –ما هي الصفة المذكورة هنا؟ التدبير– "فَسَيَقُولُونَ اللّهُ" يونس: ٣١.

إذن لابد أن أثبت له صفة الخَلق، وصفة الملك، وصفة التدبير والرزق، وصفة الإحياء، وصفة الإماتة، لا يُسمَّى ربًّا إلا أن تكون فيه هذه الصفات، خمس صفات.

٢– الإله لا يسمى إلهًا حتى تجتمع عندك قاعدتان عظيمتان: الذل التام والحب التام.

لا إله إلا الله: لا محبوب بحق إلا الله، لا معبود إلا الله،كلمة العبادة أمرين: حب وذل، إذن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وعبادة تعني: حب وذل،كأنك تقول لا محبوب بحقٍ إلا الله ولا أخضع ولا أذل إلا لله، إذن هذه الألوهية.

٣– الأسماء والصفات: أن تثبت لله ما أثبته لنفسه من غير تأويل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل، ماذا يعني هذا الكلام؟

يعني الله سبحانه وتعالى يقول: "وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " الأعراف: ١٨٠، "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" الشورى: ١١.

لا يليق أن تقول ماذا يعني سميع؟ سميع: يسمع سبحانه وتعالى سمعًا يليق به، تقول يعني يسمع مثلنا؟! أرد عليك لا "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، تقول لما قرأت في القرآن أن الله يقول: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا" القمر: ١٤، "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" الفتح: ١٠ هل يده مثل يدنا؟!

أقول لك "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، تقول هل يده مثل شيء كبير قليلاً؟! أقول لك يا بني هذا شيء إذن لا يصح "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، إذن نور كبير جدًا ويد تظهر من هذا النور؟! وهذا النور شيء أم ليس شيئًا؟ إذن "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، وربنا أعظَم في المبالغة لم يقل ليس مثله شيء وإنما قال "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ".. ماذا يعني هذا؟ لو افترضنا –وهذا الفرض مستحيل– أن له مِثل فليس لهذا المثل مثل، –اللي هو يعني مش شايف حاجة .. هي دي–، قالوا باختصار الإيمان بالله: العجز عن الإدراك تمام الإدراك، مدار الإيمان بالأسماء والصفات على كلمتين إقرار وإمرار، أُقرها وأُمِرُّها، ماذا يعني أُمِرُّها؟؟ يعني يدٌ تليق به، سمعٌ يليق به، بصرٌ يليق به، "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" طه: ١١٠ سبحانه وتعالى "يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ" الأنعام: ١٤، "مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا" سورة الجن: ٣.

إذن أثبت له هذه الصفات ودائما أرفقها بـ: كما يليق به، ينزل ربنا، فالشخص ينزل السلم ؟؟!! أعوذ بالله، هل مثلما تنزل الطائرة ؟؟!! أعوذ بالله، إذن كيف ؟! نزول يليق به.. كيف؟ هل تفهم معنى نزول؟ نزول يعني من أعلى إلى أسفل، لكن كيف ذلك؟؟ إذن نأخذ كلمة الإمام مالك المشهورة : الاستواء معلوم كلمة الاستواء تعني العلو، "اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" الأعراف: ٥٤ يعني هو فوق العرش والكيف مجهول كيف ذلك؟ ما هو العرش بالضبط؟ هو فوقه؟ هو عليه؟ يا بني "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، كل ما تقوله وتتصوره خطأ، قال: الكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال للرجل: أخرجوا هذا المبتدع.

إذن الإيمان بالله يدور على الإيمان بالله ربًّا وإلهًا وبالأسماء والصفات.

"أن تؤمن بالله وملائكته"، أن تؤمنَ بوجودِ خَلْق هم الملائكة عبادٌ مُكرَمون "لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" التحريم: ٦، خلقهم الله من نور، لا يأكلون، ولا يتصفون لا بذكورة ولا بأنوثة، ولا يتناسلون، ولا يعلم عددهم إلا الله، إذن مجمل التوحيد في كلمتين.

"وكتبه": تؤمن بالكتب السماوية التي جاء ذكرها في القرآن كما منّ الله عزَّ وجل على داود بالزبور، وعلى موسى بالتوراة، وعلى عيسى عليه السلام بالإنجيل، نؤمن بصُحف إبراهيم، نؤمن بالقرآن الكريم، إذن التصديق بالكتب المنزلة من عند الله وأنها شَرْعُ الله قبل أن تنالها أيدي الناس من التحريف والتبديل، ونؤمن بما ذكر ربنا في كتابه من أن أهل الكتاب حرَّفوا هذا الكتاب "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" النساء: ٤٦.

"ورسله" ونؤمن بجميع الرسل "لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ" البقرة: ٢٨٥، ولكن فضَّلَ الله بعض الرسل على بعض "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ" البقرة: ٢٥٣، نؤمن بأن الله اختارهم لهداية خلقه، وأنزل عليهم الكتب السماوية، نعتقد بأن هؤلاء الرسل لهم العِصمة ولكنهم بشر، ونؤمن بالفرق ما بين النبي والرسول، وأن عدد الأنبياء كما ورد في بعض الأحاديث مائة ألف وأكثر ١١٤ ألف أو أكثر أما الرسل فدون ذلك، ونؤمن بأن الله –تبارك

وتعالى– جعل تفضيلاً من الرسل فجعل بعض الرسل سماهم أولو العزم مِن الرسل وهم خمسة: نوح عليه السلام، إبراهيم عليه السلام، موسى، وعيسى، والنبي صلى الله على أنبيائه ورسله.

هل يصح أن نقول صلى الله على الأنبياء جميعًا؟ نعم، وهل يصح أن نقول عليهم جميعًا عليهم السلام؟ نعم.

هل يصح أن نقول على الصحابة عليهم السلام؟ نعم.. لكن لا تُقال حتى لا نتأسّى بالرافضة الشيعة لأنهم هم الذين يقولون عليٌّ عليه السلام، فإذا أردناها عمَّمناها أبو بكر عليه السلام وهكذا، لكن دَرَجَ أهل العلم على الترضي على الصحابة وعلى الصلاة والسلام على الأنبياء والرسل، إنما من حيث الصحة الفقهية يجوز، يجوز أن يُقال أنس عليه السلام نُسلِّم عليه، يصح أن يُقال هذا، يصح لكن ليس هذا حتى لا نقع في مشابهة المبتدعة... هذا في الإيمان بالأنبياء والرسل.

"واليوم الآخر" ونؤمن باليوم الآخر؛ يوم يبعث الله فيه الناس من قبورهم ويحاسبهم على أعمالهم، ونؤمن بأنه بعد الموت بعث، وبعد البعث حساب، وبعد الحساب إما جنة وإما نار، نؤمن بكل ما أخبره النبي –صلى الله عليه وسلم– الصادق المصدوق عن غيبيات القيامة، نؤمن بذلك.

"وتؤمن بالقدر خيره وشره"، بأن هناك خير وشر، هنا يوجد القليل من الأمور العلمية.. لماذا قال في هذا الحديث "تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" ذكروا بفعل تؤمن، وفي القضاء والقدر قال "وتؤمنُ بالقدر خيره وشره" هم ستة أمور لماذا لم يقل؟: واليوم الآخر والقدر خيره وشره. لماذا في الإيمان بالقضاء والقدر قال: "وتؤمن بالقدر خيره وشره".

ثاني مسألة لكي نجيب عليهما معًا: هل هناك شر؟ كيف؟ وقد قال النبي في الدعاء: "والشر ليس إليك" صحيح مسلم، وهذا قدر الله إذن كيف يقال عليه شر، سؤالين..

الجواب: لأنه لا يتحقق الإيمان بالقضاء والقدر حتى تحقق الخمس التي قبلها ولو جلست من هنا ليوم الدين أشرح لك الإيمان بالقدر وأنت لا تحقق الخمسة الأولى لن تفهم فيه شيئا أبدا.

لأن مداره كله على أشياء يجب أن تكون تعلمها عن ربنا. فعندما أقول أن مراتب القضاء والقدر أربعة: أول شيء فيها علم الله المحيط: أن ربنا سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان، يعلم كل شيء سبحانه وتعالى..

وأثبِتُ لله الحكمة، أنا أعلم أن ربنا حكيم لا يَضَعُ شيئًا إلا في نصابه وأثبِتُ لله صفة العدل "إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ" النساء: ٤٠ هنا الإجابة عن الأسئلة: لماذا خلق هذا كافرًا؟! وخلق هذا مسلمًا؟! فتجلس تفكر في الأمر وتضرب رأسك في الحائط ولا تعلم الجواب.. لو لم تعرف الله والله مهما فعلت.. لن تفهم شيئًا في القضاء والقدر، ودائمًا سيكون لديك مشاكل في القضاء والقدر، ودائمًا الناس الحمقى– ليس الحمقى، أقصد الفسقة الفجرة– الذين يقولون قدر أحمق الخطى لأنه هو سفيه لا يفهم شيئًا فالقدر قدر الله عزَّ وجل، فإذًا عندما تعرف مَن الله؟.. سيكون سهلاً عليك جدًا أن تفهم مسائل القدر ومراتب القدر وغيرها.

السؤال الثاني: وإذن لماذا قال "خيره وشره"، ألم يقل النبي: "الشر ليس إليك" قالوا هذا: خيره وشره بأي اعتبار.. في كلمة واحدة؟.. الشر باعتبارنا نحن لكن قدر الله لا يأتي إلا بخير.

"عجبًا لأمرِ المؤمن، إنَّ أمرَه له كلّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" صحيح مسلم. في الحالتين خير، إذن القدر باعتبار فعْلِ الله خير.. كيف ذلك؟! لو لم يُبتلى هذا الإنسان لما تاب، يقول أحد رجال الأعمال: أول ما وضعت لي قسطرة تُبت.. فلو لم يُصَب بهذا المصاب، لو لم يمت له هذا الشخص لما تاب.. فموت الإنسان مُر وبكاء وتعب وحصلت له حالة نفسية ومشاكل لكنه تاب بعدها.

اللهُ لا يَضَعُ شيئًا إلا في نصابه، "تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ" الأنفال:٦٧ دائمًا نحن ننظر تحت أقدامنا، أريد أن أتزوج هذه، لو لم أتزوجها سأموت، سأنتحر، سأضيع. والله يا بني لن يحصل لك شيء.. لا هذه، فلو تزوجتها وعشت في نكد؟!.. أعرف أحدًا حصل له هذا الأمر، كان يقول هذه هي، ويقول قصة حب سبع ثمان سنين فلما تزوجها بعد سنة ونصف طلقها، فهذه هي التي كان يقول عنها هذه هي التي أريد..

فالمهم أن قدر الله لا يأتي إلا بخير وشره بأي اعتبار: بالنسبةِ لنا ومُرِّه بالنسبة لنا، هل فهتم الإيمان؟.. نمر للذي يليه.. الإحسان.

٥- تعريف الإحسان.

الإحسان.. جعلنا الله وإياكم من أهل الإحسان، ما معنى الإحسان؟: الإتقان.. أحسن: أجاد أتقن "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي" يوسف :١٠٠، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنَّ اللهَ كتب الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتم فأحسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذبحتم فأحسِنُوا الذبحَ... " صحيح مسلم ، وهكذا فالإحسان الإتقان والإجادة.

لكن معناه هنا: المعنى الشرعي أن تخلص في عبادتك لله وحده مع تمام الإتقان؛ أن يكون هذا العمل كأنَّك تراه وقتَ عبادتك.. كأنك ترى الله "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" النجم: ١١

هناك قلوب تستشعر قرب الله "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ" البقرة: ١٨٦، يعيش بقلبه مع الله "رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" الأعراف: ١٤٣ وهكذا.. يعيش وهو يستشعر أنَّ الله سبحانه وتعالى في كل شيءٍ له آية تدل على أنه الواحدُ.. عطشت أريد أن أشرب أمّا الله فالواحد الأحد، لا يُطعَم سبحانه وتعالى، ولا يُسقَى سبحانه وتعالى، شاب وأريد أن أتزوج فأحتاج لزوجة .. هو ما اتخذ صاحبةً ولا ولدًا سبحانه وتعالى متفرِّد في كل وقت أعلم أنه الواحد، كل شيء في هذا الكون يقول ذلك، فأتلمَّس ذلك فأشعر كأني أراه، فإن لم أكن أراه استشعر المراقبة أنه هو يراني؛ إنَّ الله ناظرٌ إليّ.. إنَّ الله مُطلِعٌ عليّ.

فالإحسان بين منزلتين إما أن يرى القلب ويستشعر القلب وجودَ الرب سبحانه وتعالى -ليس شحنة وجود، قطعًا لا- إنما معنى أنه يستشعر ربَّه بقلبه، يقف في الصلاة ينصب وجهَه تلقاء وجه ربه سبحانه وتعالى.. قلبه حي وهذا ما نسميه الحال مع الله. وإذ لم يكن لديك حال يجب أن يكون لديك مراقبة: أن الله يراك، ربنا مطلع عليك.. هذا أعلى منازل الإيمان "الإحسان".

هل يمكن أن تكون مسلمًا ومؤمنًا ومحسنًا في نفس الوقت؟ أم يجب أن ننتهي من الإسلام.. يعني ننهي ابتدائي ثم نذهب لإعدادي، ننهي إعدادي نذهب ثانوي؟ لا، هو بالشكل العام، يمكن في لحظة واحدة أن تكون مسلمًا ومؤمنًا ومُحسنًا.. كيف ذلك؟.. في الصيام مثلاً، الناس لا يعلمون هل أنا صائم أم لا ويمكن أن أدخل وأشرب كأسًا من الماء فلا أحد مطلع عليّ.. هذا إحسان لأنه يشعر أنَّ الله يراه، وهو في الخلوات "مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ" يوسف: ٢٣، على أنه ليس أستاذًا في الدين.. لكن لا يتقي الله في أمور، بعض الأمور.. مثلاً أحدهم أعطاه مالاً، أحدهم أعطاه سيارته وطلب منه أن يحضر له شيئًا أو يصنع له أمرًا أو غيره.. على أساس أنه سائق، فيتقي الله، كما أمرني.. لن أتجول بها وأفعل كذا.. لا، هذا ليس في إطار عملي وهكذا.. هذا اسمه إحسان، لكنه ما بلغ الإحسان الأكمل.. الأكمل أنه يصل لهذه الدرجة وتكون الشائعة عنده.

هل الإحسان منزلة إيمانية؟ نعم.. أعلى منازل الإيمان.

هل ينقص بالمعاصي؟ نعم، ينقص بالمعاصي.. نحن قلنا القانون: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

٦- الساعة وأماراتها؟

يعني علم وقت يوم القيامة، هل يعرفه أحد؟! متى؟ "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا" النازعات٤٢:٤٥.

إذن علم وقت قيام القيامة هذا مما اختص به الله سبحانه وتعالى نفسه، ولم يُطلِع عليه أحدًا.. لا النبي -عليه الصلاة والسلام- أحب خلق الله إلى الله، ولا الملائكة -أقرب المقربين إليه-، ولا حملة العرش، ولا الجان، ولا أي أحد ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لجبريل: "ما المسئول.."، وهكذا.. أعطانا فائدتين، مَن هو المسؤول؟ خاتم الأنبياء والمرسلين -صلى الله عليه وسلم- ومَن هو السائل؟ سيد الملائكة.. فهُنا سيد البشر وهنا سيد الملائكة والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "ما المسئول عنها بأعلمَ من السائل" لا أنت ولا أنا نعرفها، لا سيد البشر ولا سيد الملائكة.. اختصَّ الله بعلمِها، فسأله عن أماراتها: علامات الساعة.

وعلامات الساعة كثيرة تنقسم إلى قسمين: علامات صغرى وعلامات كبرى ذكر منها أمرين:

العلامة الأولى: مما يدل على قربها فساد الزمان، ضعف الأخلاق، كثره عقوق الأولاد ومخالفتهم لآبائهم فيعاملونهم معاملة السيد لعبيده.. هذه أوقع من أن نقف عند مسألة الرِّق.. ألم نقل: " أن تلد الأمة ربتها".

الفائدة: أن تلد الأمة ربتها.. نأخذ منها معنى أعمق.. الأم ستصير جارية والبنت ستعاملها كسيدتها!، الأب سيصير عبدًا والولد سيتسيَّد عليه ويقول له أنا!، يصل الزمان إلى ذلك، أن يوضع الآباء في ديار المسنين ويرمون رمية كذا، لأن لا أحد يطيقهم، فيُعامَلون معاملة العبيد.. هذا من فساد الزمان.

إنما المطلوب -بلا شك- أن تتذكر يا أيها العاق ماذا صنعوا لك وأنت صغير، وما تعافّوا وما استقذروا أن يطرحوا عنك الأذى.. وأنت في آخر الزمان تتأفَّف؟!، ويلك مِن عاق..

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "بابان معجّلانِ عقوبتهُما في الدنيا: البَغْيُ والعُقوقُ" صححه الألباني

وعدّه من السبع الموبقات، إذن أول العلامات: فساد الزمان.

العلامة الثانية: انعكاس الأمور، الدنيا تنعكس.. الطبقة الفقيرة تصبح الطبقة المتسيدة، دائما في علم الاجتماع طالما كانت نسبة الطبقة المتوسطة ٨٠٪ نكون في أوج الازدهار والتقدم، لماذا؟

لأنه يجب أن يكون هناك ٣ طبقات: فقيرة ومتوسطة وطبقة عليا، الطبقة العليا لو أصبحت تمثل ٥٪ والطبقة الفقيرة ٧٠٪ و٢٥٪ نسبة الطبقة المتوسطة ستكون البلد في قمة الفقر، وقمة الضياع، وقمة الديكتاتورية، وقمة القمع وقمة الاستبداد.. وهذا ما كان يحصل، عشرة آلاف كانوا يسمونهم نادي العشرة آلاف هم عشرة آلاف عائلة تحكم مصر .. عشرة آلاف عائلة ضرب عشرة تصبح مائة ألف.. مائة ألف متسلط على ٨٠ مليون.. فما المطلوب دائما؟

الطبقة المتوسطة.. وهم مَن؟ مَن يمثل دخله ١٥٠٠جنيه، ٢٠٠٠ جنيه، يأكل جيدًا ويشرب جيدًا ويدخل أولاده مدارس جيدة يعني أموره جيدة، إنما لو قلت الحد الأدنى ٦٠٠ أو٧٠٠ جنيه وهو يدفع مبلغ ٥٠٠ جنيه لإيجار البيت، هل سيسرق أم ماذا سيفعل؟! سيسرق أو سيعمل ٢٠ عملاً.. ، فعندما تنقلب الموازين ويصبح الفقراء هم السادة كما حصل في عهد المماليك، انقلبت الأمور.. فصار أصحاب الوجاهات في حضيض الأمم، فتنقلب الأمور وتنعكس حتى يُصبح أسافل الناس ملوك الأمة، ليس المطلوب الفقير بمعنى؟.. لم يكن يملك مالاً والله وسع عليه رزقه وأغناه من فضله.. لا، بل سيء الأخلاق مثل: البلطجية وأشباههم، هؤلاء هم السادة الذين يحكمون، هم مَن يتسيَّد الموقف.. فلما تنقلب الأمور، من المفروض أهل الأخلاق وأهل الدين وأهل المعاملة الحسنة وأهل التجارة وأهل الشرف يكونوا هم هؤلاء، فتنقلب الأمور فيُصبح أسافل الناس هم ملوك الأمة وتُسنَد الأمور إلى غير أهلها فانتظر الساعة.. "إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظر الساعة" صحيح البخاري

ويكثر المال في أيدي الناس ويكثر البذخ والصرف ويتباهى الناس بعلو البنيان، أنا بنيت ناطحة سحاب، أنا فعلت كذا، والزخارف وكذا وكذا.. فيَتباهى الناس بكثرة المتاع والأثاث ويُتعالى على الخلق ويُملَّك أمرهم مَن كانوا في الفقر والبؤس.. فيقول افتقر، أن هذا الإنسان الذي اغتنى من بعد فقر من أسوأ ما يكون عادةً، لو هو ذو نفس مريضة فيغل ويتشفّى، –أنا عشت كذا وكذا وسأخرجها على أبدان الناس كلها– عادةً كذلك يعيشون على إحسان الغير من البدو والرعاء وأشباههم.

٧– السؤال عن العلم:

فالمسلم إنما يسأل عما ينفعه في دنياه أو آخرته، ويترك السؤال عما لا فائدة فيه، كما ينبغي لمن حضر مجلس علم ولمس أن الحاضرين بحاجة إلى مسألة ولم يسأل عنها –كما قلنا نحن– أن يسأل حتى تعم الفائدة.

٨– طريقه السؤال والجواب في التربية:

تجد من يقول .. لماذا لم يدخل في صلب الموضوع مباشرة.. أوحى الله إليَّ الآن أن الإسلام وأن الإيمان وأن الإحسان.. يعطيهم بعض المعلومات. يجب في أساليب التعليم: مَن يسأل هذا السؤال مَن؟ مَن يجيب؟ يبدأ في استثارة الذهن لكي لا ينام الحاضرون فيسأل ويُجيب، ويصير الحاضرون متشوقين للإجابة.. يطرح مجموعة من

الأسئلة، براعة الاستهلال، أقول هل تعرف كذا؟!، هل تعرف كذا؟!، هل تعرف كذا؟! نعم نعم نعم.. ما هذا إذن؟ أريد أن أعرف هذه الأمور، ويبدأ يُجيب.. إذن أساليب في التعليم.

هناك كتاب رائع جدًا للشيخ عبد الفتاح أبو غُدة اسمه "النبي المعلم" يتكلم عن أساليب النبي في تعليم الناس، كيف أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يستخدم مثلاً في هذا الحديث.. عن أبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر! ما يقال لك بعد فلما كان اليوم السابع، قال: أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحدًا شيئًا وإن سقط سوطك، ولا تقبض أمانة" حسنه الألباني

سيدنا أبو ذر يراه النبي فيقول له: "أبا ذر، إني ذاكرٌ لك، إني ذاكرٌ لك شيئًا بَعْدُ.. أبو ذر سأخبرك بأمر غدًا، اليوم الذي بعده سأقول لك أمرًا غدًا. قال: حتى مضت ستة أيام وسبعة ليالي، ثم قال: أبو ذر.. ماذا يريد أن يعطيه؟ نصيحة في شأنه كله "اتقِ الله في سرِّ أمرك وعلانيته"

هذا أسلوب: ٧ أيام يفكر في ما سيقول له.. ماذا سيقول لي؟!، وأكيد حاسَب نفسه عشرين مرة وفكر في كل شيء وأعطاه ما يناسبه، فهذا من أساليب النبي –صلى الله عليه وسلم– في تعليم الناس.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هُنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36